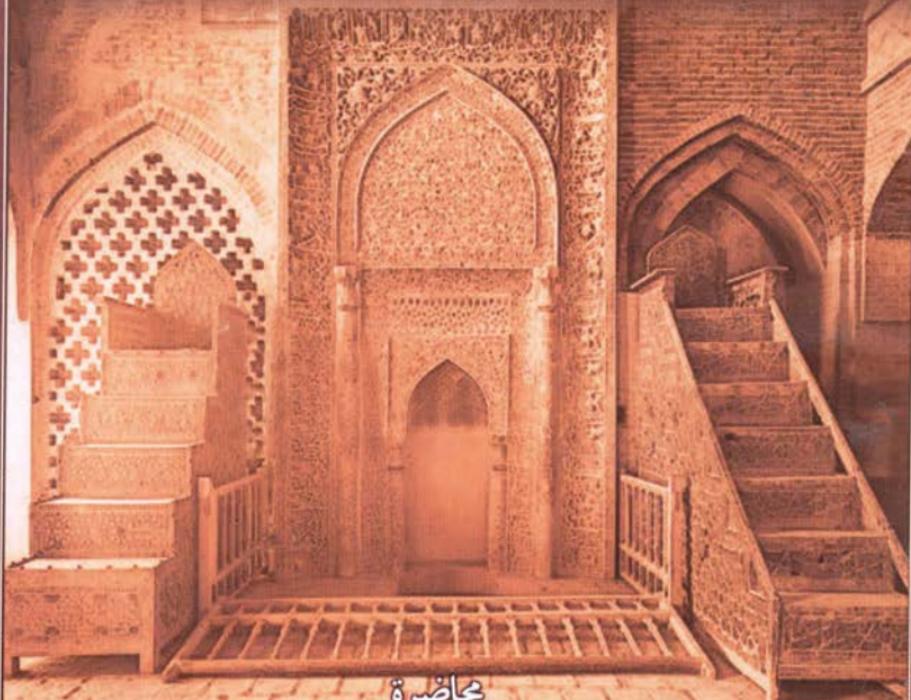


# شَفَاعةُ النَّبِيِّ



محاضرة

العلامة الداعي إلى الله

عَمَرْ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ بْنِ حَفْظٍ

ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

اللهم  
لَا يَحْمِلُنَا  
مَا لَا أَمْرٌ

موزع  
٢٠١٩ - ٥٧

# ثقافة الخطيب

الطبعة الأولى

٢٠١٩ - ٥٧

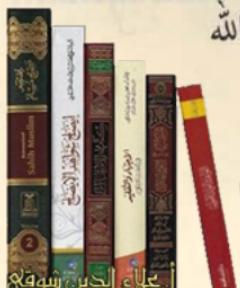
للعلامة الداعية

عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

ابن الشيخ أبو بكر بن سالم

حفظه الله

مكتبة  
إسارة العرب





سُلَيْمَان  
P1 - p.12 - vv



<https://salsljoom.com>

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

الحمد لله العلي الكبير، السميع البصير،  
اللطيف الخبير، الحكيم القدير، وأشهد أن لا إله إلا  
الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا  
محمدًا عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه  
وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الميامين، وتابعهم  
بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ فإن الخطابة يعظمُ في واقع الناس  
أثرُها، ويكبُرُ نفعُها أو ضررُها، لذلك جل شأنها  
وخطرُها، إن سُخرتْ موهبتها وصحتُ النيةُ في  
اكتسابها، فألقيتْ في نصرة الحق ونشرِ الخيرِ على  
وجهها الأمثل وهيئتها الأفضل؛ أثمرتْ خيراً، وإلا

كانت سبباً لشرّ.

وأصل الخطابة ومصدرها وعمادها وأساسها  
ومرجعها هو الخطيب، لذلك كان لثقافته الأثرُ في  
إلقائها على وجهها وإيرادها موردها أو عكسه. ولما  
طلب مني الكلام عن ثقافة الخطيب وكان الكلام  
عنها متشعباً فنلُم شعبَة ونحصر الحديث عنها في أربع

نقاط:

الأولى: الإمام، بمعنى ثقافة الخطيب.

الثانية: أهميتها وضرورتها.

الثالثة: آداب صناعتها المظهرية.

الرابعة: آدابها القلبية الجوهرية.

## النقطة الأولى: معنى ثقافة الخطيب

الثقافة: هي الفهم والخذق، يُقال: ثقَ الشيءَ، أي فَهِمَهُ، ورجلٌ ثَقِفَ، أي حاذقٌ فَهِمَ، ويقال: ثَقَ الشيءَ، أي ظَفَرَ به ووْجَدَه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَشْفَعُونَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدُوهُمْ مِّنْ خَلْفَهُمْ﴾ وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ شَفَعْتُمُوهُمْ﴾ أي: وَجَدْتُمُوهُمْ، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ يَشْفَعُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ أي: إِنْ يَظْفِرُوا بِكُمْ.

---

١ - ويقال: غلام ثقف، أي ذو فطنة وذكاء والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه.

والخطيب: مُفرَدٌ خطباء، مَنْ يقرأ الخطبة  
يُقال: رجلٌ خطيبٌ، أي: حَسَنَ الخطبة. فمعنى  
((ثقافة الخطيب)) فَهُمْ وَحْدَاقُهُ بِإِيْرَادِ الخطبة عَلَى  
وَجْهِهَا، بِإِدْرَاكِهِ مَقْتَضِيَ الْفَظْوَ، وَأَثْرِهِ عَلَى النُّفُوسِ،  
وَحَالِ السَّامِعِينَ، وَالوَضْعِ الَّذِي يَعِيشُونَهُ، وَالْخَيَارِ  
وَانْتِقَاءِ الْفَظْوَ وَالْأَسْلُوبَ مَعَ تَفَقُّدِهِ حَالَهُ فِي إِخْلَاصِ  
قَصْدِهِ وَصَدْقِ نِيَّتِهِ وَحَسْنِ الْقِيَامِ بِعَهْمَتِهِ.

## النقطة الثانية: أهمية الثقافة للخطيب

إنَّ الخطيبَ يَتَرَأَّسُ مَنْ يَخْطُبُ لَهُمْ فِي إِلْقاءِ  
المفاهيمِ والإِرشاداتِ، فَإِنْ أَلْقَاهَا بِسَبِبِ نَقْصِ ثَقَافَتِهِ  
عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا كَانَ مِنَ الرَّؤُسَاءِ الْجَهَالِ المُشَارِ  
إِلَيْهِمْ بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

فيما رواه البخاري ومسلم أنه عليه الصلاة والسلام  
قال: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَنَزَّعُ الْعِلْمُ انتزاعاً مِنَ النَّاسِ  
بعدَ أَنْ يُؤْتِيهِمْ إِيَاهُ وَلَكِنْ بِذَهابِ الْعُلَمَاءِ، فَكُلُّمَا ذَهَبَ  
عَالَمٌ ذَهَبَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا رُؤْسَاءُ  
جُهَّالًا إِنْ سُئِلُوا أَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَيَضْلُّونَ وَيُضْلَّونَ)، وَلَا  
يَخْفَى مَا فِي ذَلِكَ مِنْ عَظِيمِ الْخَطَرِ، فَعُلْمٌ بِذَلِكَ أَهْمِيَّةٌ  
شَاقَّةٌ لِلْخَطِيبِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَوُجُوبُ أَنْ يَكُونَ عَلَى  
نَصِيبِ مِنَ الدِّرَايَةِ بِمَا يَلْقَيهِ وَيَخْوضُ فِيهِ.

ولقد وصف أحدُ أَصْحَابِ سَيِّدِنَا رَسُولَ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأُولَئِينَ إِلَى  
الإِسْلَامِ.. أَحَدُ الْخَلْفَاءِ الرَّاشِدِينَ - وَهُوَ الْإِمَامُ عَلَيِّ  
بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَمُ اللَّهِ وَجْهَهُ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ  
أَجْمَعِينَ - وَصَفَا بِالْغَالِ حَالَ الْمُتَجَرِّئِينَ عَلَى مَرَاتِبٍ

الخطابة والتعليم، المتجاوزين حدودهم بقول مالا يعلمون، فقال في قوله المعتبر في أحسن التصوير لواقع أولئك في خطبة له:

((ذمّي رهينة وأنا به زعيمٌ أنه لا يهيج<sup>١</sup> على التقوى زرع قومٍ ولا يضمّأ على الهدى سُنخ أصلٍ، وأنَّ أجهلَ الناسَ مَنْ لا يَعْرِفُ قَدْرَهُ، وأنَّ أبغضَ الخلقِ إلى الله تعالى رجلٌ قَمَشَ<sup>٢</sup> علماً أغَارَ به في أغباشِ<sup>٣</sup> الفتنة، سماه أشباهه له من الناس وأَرَادُوهُمْ عالماً، ولم يعشْ في العلم يوماً سالماً، تَكَثَّرَ واستكثَرَ.

---

١- يهلك.

٢- قمش جمع من هنا وهنا.

٣- ظلم.

فما قَلَّ مِنْهُ وَكَفَى بِخَيْرٍ مَا كَثُرَ وَاللَّهُ، حَتَّى إِذَا  
 ارْتَوْيَ مِنْ مَاءِ آجِنِ<sup>١</sup> وَأَكْثَرَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ جَلْسَ  
 لِلنَّاسِ مَعْلِمًا لِتَخْلِصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ، فَإِنْ  
 نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُهَمَّاتِ هَيَّاً لَهَا مِنْ رَأْيِهِ حَشْوَ<sup>٢</sup>  
 الرَّأْيِ، فَهُوَ مُنْقَطِعُ الشُّبُهَاتِ فِي مُثْلِ نَسْجَ  
 الْعَنْكَبُوتِ، لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ؟ رَكَابُ  
 جَهَالَاتٍ خَبَاطُ عَشَوَاتٍ، لَا يَعْتَذِرُ مَا لَا يَعْلَمُ  
 فِي سَلْمٍ، وَلَا يَعْضُّ عَلَى الْعِلْمِ بِضَرِسٍ قَاطِعٍ فَيَغْنِمُ،  
 تَبْكِي مِنْهُ الدَّمَاءُ وَتُسْتَحَلُّ بِقَضَائِهِ الْفَرْوَجُ الْحَرَامُ، لَا  
 مَلِئَ وَاللَّهُ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، لَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا

١- متغير اللون أو الطعم.

٢- ردِيءِ الرأي.

فُوْضَ إِلَيْهِ، أَوْلَئِكَ الَّذِينَ حَلَّتْ عَلَيْهِمُ الْمُثْلَاتُ  
وَحَقَّتْ عَلَيْهِمُ الْنِيَاحَةُ وَالْبَكَاءُ أَيَامُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)).

وَمَا تَحْسُنُ إِلَّا شَارِهٌ وَيَجِدُ إِدْرَاكُهُ أَنَّهُ يَلْزَمُ  
التَّفْرِيقَ فِي هَذَا الْمَحَالِ بَيْنَ مَنْ يَقْتَحِمُ الْفَتْوَى فِي  
الْأَحْكَامِ وَالْمَسَائِلِ، وَبَيْنَ مَنْ يَقْتَصِرُ فِي خُطْبَتِهِ عَلَى  
الْدُعْوَةِ إِلَى الْفَضَائِلِ، ثُمَّ بَيْنَ مَنْ يَتَخَذُ الْخُطَابَةَ دِيدَنًا  
وَوَظِيفَةً وَبَيْنَ مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى حَدُودِ مَا يَعْلَمُ.  
فَمَسْؤُولِيَّةُ مَنْ يَتَخَذُ الْخُطَابَةَ دَأْبًا لَهُ وَمُسْلِكًا أَكْبَرُ  
وَخَطْرُهُ أَعْظَمُ مِنِ الَّذِي لَا يَخْطُبُ إِلَّا مُضْطَرًّا  
مَقْتَصِرًا عَلَى حَدُودِ مَا يَعْلَمُ، ثُمَّ مَسْؤُولِيَّةُ الْمَقْتَحِمِ  
لِمِدَانِ الْفَتْوَى فِي الْأَحْكَامِ وَخَطْرُهُ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ،  
وَفِرْضُهُ فِي الْإِطْلَاعِ وَالْتَّبَيِّنِ وَالْتَّأْكِيدِ مِنِ الَّذِي

يقتصر على الترغيب والترهيب في الواضحت  
البيّنات من الأخلاق، فاما الدعوة إلى الخير والهدى  
من إقامة الصلوات، وإيتاء الزكاة، والصوم والحج،  
والبر والإخلاص، وصلة الرحم والإحسان، وتجنب  
الكبير من الزنا والسرقة والربا والظلم والكبر  
والسب واللعن إلى غير ذلك مما هو واضح بيّن؛  
فتلك - أعني الدعوة إلى الله - بوسيلة الخطابة  
وغيرها من أهم المفروضات وأكمل المهمات على كل  
مسلم، ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ عَلَى  
بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ وَمَنْ أَحَسَنْ فَوْلًا  
مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ ﴿ ، وقال صلى الله عليه وآلـه وسلم:

(مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُّنْكِرًا فَلْيُعِيْرُهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يُسْتَطِعْ  
فِي سَانَةٍ، فَإِنْ لَمْ يُسْتَطِعْ فِي قَبْلِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَافُ الْإِيمَانِ)،  
وَقَالَ عَلَيْهِ وَآلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: (أَلَا فَلِيَلْعُمُ الشَّاهِدُ  
مِنْكُمُ الْغَائِبِ)، وَلَكُنْ مَنْ تَصْدِي لِلْوَعظَةِ وَالْإِرْشَادِ  
وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ عَلَى نَصِيبٍ وَافِرٍ مِنَ الْثَّقَافَةِ  
وَبَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَمَنْ يُعْرِضُ نَفْسَهُ لِلْفَتْوَىِ فَيُلْزَمُ أَنْ  
يَكُونَ عَلَى حَسْنِ اطْلَاعٍ وَوَرْعٍ فِيمَا يَقُولُ، ﴿ وَلَا  
نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ  
وَالْفُؤَادُ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا ﴾، ﴿ وَلَا  
تَقُولُوا لِمَا تَصِيفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ  
وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفَرَوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ  
يَفْرَوْنَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿ ١٣٣ ﴾ مَتَعْ فَلِيلٌ

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

وقارن هنا بين هذه الآيات وأحاديث في معناها حديث: (مَنْ عَلِمَ عِلْمًا فَكَتَمَهُ الْجَمْهُ اللَّهُ بِلْ جَامِ من نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجة وابن حبان والحاكم وصححه، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ الظَّالِمُونَ﴾، تَعْرِفُ انصرافَ ذاك إلى متجرئ يقول بغير علم وانصراف هذا إلى كاتم حقٍ يُبيّنهُ، وحُكْمٌ شَرِيعٌ يُبيّنهُ، وبالله التوفيق.

## النقطة الثالثة: ما يتعلّق بصناعة الخطبة من الآداب:

١- أهمّها مراعاةُ ما كانَ في الخطبة الواجبةُ – وهي خطبة الجمعة – ركناً أو شرطاً أو جبه فقهاءُ الملة وعلماء الأمة، ومن المهم هنا أن لا يقتصر عن كل ما قيل بوجوبه في الخطبة حتى تكون خطبته صحيحة بالاتفاق، وأول ذلك حمدُ الله في الخطبيتين، فليراعَ أن يكون بلفظ ((الحمد)) أو ما اشتُقَّ منه، والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآلِه وسلم في الخطبيتين، والأولى أن تكون بالاسم مثل: ((اللّهم صلّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّداً)) لا بالضمير مثل ((صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّداً))

عليه) والوصية بالتصوی فیهما، وقراءة آیة من القرآن  
مُفْهِمَةٍ، والدعاة للمؤمنین، ولیراع دخول وقت  
الظهر، وقد روی مسلم عن سلمة بن الأکوع قال:  
(كنا نجتمع مع رسول الله صلی الله علیه وآلہ وسلم إذا  
زالت الشمس) ، والموالاة، وستر العورة، بل ينبغي  
أن يلبس البيض من الثياب، وقد روی الترمذی  
وصححه وغيره أن رسول الله صلی الله علیه وآلہ  
وسلم قال: (البُسُوا من ثيابکُمُ البياضَ فإنما من خير  
ثيابکُمْ، وكفُتوا فيها موتاکمْ).

وينبغي أن يقتدي برسول الله صلی الله علیه  
وآلہ وسلم في لبسِ القميص والعمامة والرداء مهما  
تمکن، والجلوس بين الخطبيین للاتباع كما رواه

مسلمٌ، والأولى أن يكونَ قَدْرَ سورةِ الإخلاصِ خروجاً مَنْ خلاف من أوجبه، وروى ابن حبّان (أنه صلى اللهُ عليه وآلِه وسَلَّمَ يقرأ في الجَلْسَةِ بين الخطيبين شيئاً من القرآن).

- ٢ - ولِيَخْتُرْ مِنْ فِي خطبته الألفاظُ الجَزِلَةُ الفصيحة، فإن الركيكة لا تؤثر في القلوب<sup>١</sup> وليرحذر من الألفاظ النابية وما تَمُجُّهُ الأسماعُ وتُنفرُ منه الطياع، فإن عَبَرَ عَمَّا يُسْتَحِيَّ منه فليختبر الكنایة

---

١ - مع مراعاة فهم السامعين، فمن الخطباء من يسترسل بذكر عبارات بلغة لا يفهمها أكثر السامعين وهذا خطأ ليس الغرض من الخطبة إلا تفهيم السامعين والتبيين لهم دعوهم وذلك لا يتم إلا بما استوعبته أفهامهم.

والإشارة، ولا يصرح في التحذير من السوء بأسماء فاعليه، فلقد صح أنه صلى الله عليه وآلـه وسلم كان يقول في خطبته: (ما بال أقوام يعملون كذا)، ولا يذكر اسم أحدٍ عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

٣ - وما يتبعـي التـنـبـء إـلـيـه والإـهـتـمـام بـه مـن كـلـ خطـيـبـ أـنـ يـتـجـنـبـ التـطـوـيلـ، وـيـحـرـصـ عـلـىـ التـوـسـطـ وـالـقـصـدـ فـيـ خـطـبـتـهـ، فـإـنـ الـكـلـامـ مـهـمـاـ كـانـ حـسـنـاـ إـذـاـ طـالـ يـمـلـ وـيـنـسـيـ بـعـضـهـ بـعـضـاـ. وـقـدـ روـىـ مـسـلـمـ عـنـ جـابـرـ بـنـ سـمـرـةـ قـالـ: (كـانـتـ صـلـاـةـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ قـصـداـ وـخـطـبـتـهـ قـصـداـ) أـيـ مـتوـسـطـةـ، وـفـيـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ أـيـضاـ عـنـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـسـلـمـ أـنـهـ قـالـ: (إـنـ طـولـ صـلـاـةـ الرـجـلـ وـقـصـرـ خـطـبـتـهـ

مَئِنَّهُ<sup>١</sup> مِنْ فَقِهِ، فَأَطْلَلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصَرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ  
مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا).

٤ - وَمِنَ الْمُؤْثِرَاتِ فِي الْخُطُبِ حُسْنُ استعمالِ  
الإشارةِ بِالْيَدِ، فَتَخْتَارُ لِكُلِّ مَعْنَى إِشارةَ الْأَنْسَبِ،  
فَقَدْ ثَبَتَ فِي تَعَالَيمِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ استعمالِ  
الإشارةِ.

تَنبِيهٌ: إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي غَيْرِ خُطْبَةِ الْجَمْعَةِ، أَمَا  
فِيهَا فَالسَّنَةُ أَنْ يَشْغُلَ يُسْرَاهُ بِنَحْوِ سِيفِ الْلَّاتِيَاعِ،  
كَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدُ، وَجَرِيَ عَمَلُ السَّلْفِ وَالخَلْفِ

وَعَلَى هَذِهِ دِرْجَةٍ (النَّسْخَةُ الْمُبَلَّغُ بِهَا نَسْخَةُ مُلْكِ عَلَيَّ  
مَعَ مُرَاجِعٍ لِهُمُ السَّاسِعَنِ، فَمِنْ الْمُعْتَادِ مِنْ بَعْدِ مَرْسَلِ مَذْكُورِهِ

---

١ - أَيْ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ، فَمَعْنَى (مَئِنَّهُ): {جَدِيرٌ بِأَنْ يَقَالَ فِيهِ:  
إِنَّهُ كَذَا وَكَذَا}.

على شغل اليمين بحرف المنبر، والغرض: أن يخشع  
ولا يبعث بيديه.

٥- ولا يغفل عن إيراد القصة المناسبة  
لموضوع كلامه، المنطوية على العبرة والعظة،  
فللقصص أثر في النفوس بالغ، وشد لانتباه السامع  
إذا حسُن إيرادها، وقد كثر في القرآن الكريم قص  
القصص وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ  
لِأُولَئِكَ﴾، وتكررت بعض القصص  
كقصة موسى وفرعون في كثير من السور لحكمٍ  
بالغة وأسرار لا يحيط بها إلا الله تعالى.

٦- وللاحظ أن يكون موضوع الخطبة  
متعلقاً بواقع الناس، وما يحتاجون إليه في شؤون

حياتهم، فينظر في أحوال أهل البلد التي يخطب فيها،  
ويختار ما هم أحوج إليه.

٧ - وعلى الخطيب أن يراعي الثاني في إلقاء  
الكلام، ويُثبت فيه حتى يتمكن السامع من فهمه  
 تماماً، فقد كان كلامه صلى الله عليه وآله وسلم:  
(لو أراد السامع أن يُعدَّ لعَدَة)، من كمال ترتيله  
وتأثُّره، وقد يكرر الكلمة ثلاثة حتى تُفهَّمَ عنه، وإذا  
ذكر الساعة علا صوته واحمررت وجنتاه كأنه مُنذِّرٌ  
جيشه يقول: صَبَحْكُم أو مَسَاكِم. وهكذا ينبغي  
للخطيب أن يراعي نغمات صوته فيفرق مثلاً بين  
كلامه في الخوف، وكلامه في الرجاء، ويضبط  
كلامه في الجانين بحيث لا يقع في إياضٍ وقنوطٍ

وَلَا أَمِنٌ مِّنْ مَكْرِ اللَّهِ وَتَجَرَّ عَلَى مُحَارِمِ اللَّهِ، وَمَا  
أَحْسَنَ أَنْ يَمْزِجَ بَيْنَ ذِكْرِ الْأَمْرَيْنِ كَمَا هُوَ الْغَالِبُ  
فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ وَالْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ، وَكَمْ مِنْ  
خَطَّابٍ أَرَادَ التَّحْذِيرَ مِنِ الإِثْمِ وَالنَّهِيِّ عَنِهِ فَلَمْ  
يُحْسِنْ إِيْرَادَهُ، فَكَانَ حَامِلًاً لِبعضِ النُّفُوسِ عَلَى  
الْتَّفْكِيرِ فِيهِ أَوْ ارْتِكَابِهِ، وَكَمْ مِنْ مُورِدٍ لِلْكَلَامِ عَنِ  
وَاجِبٍ عَلَى وَجْهِهِ يَحْمِلُ بَعْضَ السَّامِعِينَ عَلَى  
الْتَّسَاهِلِ فِيهِ.

وَذُكْرٌ عَنْ مَدْرِسٍ بِإِحْدَى الْمَسَاجِدِ أَنَّهُ أَتَى لِلْلَّيْلَةِ  
لِلْمَدْرِسِ وَهُوَ مُخْزُونٌ مُكْتَبٌ فَسَأَلَهُ أَهْلُ حَلْقَتِهِ عَنِ  
سَبَبِ ذَلِكَ فَقَالُوا: أَمَا تَدْرُونَ أَنَّهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ  
وَصَلَّتْ إِلَى الْبَلَدِ فِرْقَةٌ غَنَاءً وَهُوَ؟ وَمَوْعِدُهُمْ فِي

مكان كذا في ساعة كذا؟ هذا منكرٌ! فخرج كثير من الحلقة عنده بعد انتهاءها إلى المكان الذي عينه، فكان كلامه مع ضعف إيراده داعياً لهم إلى الحضور مع أهل الله، وربما لو لم يُخْبِرْ بتلك الكيفية ما علم الذين ذهبوا من عنده عن ذلك الله شيئاً.

كما أنه يَجُدُّ بالخطيب أن يُفرّق بين الكلام عن فرضٍ واجبٍ، والكلام عن مندوبٍ مستحبٍ، وبين الكلام عن حرمٍ مُجمعٍ على تحريمه وآخرٍ مختلف فيه وعن مكروهٍ وعن حرام، ومن الناس من يَخْبِطُ في هذا فَيَشْتَدُّ في غير موضع الشدةِ ويلينُ في غير موضع اللين، ومع أنه يحسن من الخطيب أن يتبعه الإلقاء ارتجالاً، فينبغي أن لا يُؤثِّرَ الإرتجال

بالخطب على القراءة بالضبط.

وعلى الخطيب أن يكون على مسْكَةٍ من علم النحو، فإن كان يجهله لزمه أن يحرص على تَعْلِم ما يَسْلُمُ به من وصمة اللحن الذي قد يغير المعنى تغيراً فاحشاً.

#### النقطة الرابعة: الآداب الجوهرية القلبية

وأنت إذا استشرت واستحضرت معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ، وَلَا إِلَى أَجْسَادِكُمْ؛ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَنِيَاتِكُمْ)، ومعنى قوله: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ) رواه البخاري ومسلم، ومعنى قوله: (التقوى هاهنا) ويشير إلى صدره ثلاثة مرات؛ علمت أن هذه الآداب هي

الأهمُ الأعظمُ والأولى بالحرص، عليها وبدل الوسع  
في اكتسابها، ف يجعلها خاتمة المعاشرة أحسن الله  
حواتِمنا وعواقبنا في الأمور كلها.

فالأدبُ الأولى أن يتجردَ ويتنقى ويتخلصَ  
عن الأغراض والدوافع كلها إلا ابتغاءَ وجه ربه  
الأعلى جل جلاله، فلا يحمله على إلقاء الكلمة  
واحدة من كلماته إرادةً المترلة في قلوب الناس، ولا  
أن يرضي عنه واحدٌ منهم، ولا اكتسابٌ مصلحةً  
من واحدٍ من الخلق، وحينئذٍ يكون بعيداً عن  
المداهنة في الدين وعن القول بالهوى، قال تعالى:

﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ  
يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا

يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿١﴾، وهذا التجرُّدُ والتَّنْقِي هو المعبر عنه  
 بالإخلاصِ، ومعناه: خروجُ خوفِ الخلقِ والطمع  
 فيهم من القلبِ، قال تعالى: ﴿أَلَّذِينَ يُلِّغُونَ  
 رِسَالَتِ اللَّهِ وَيَخْسِنُونَهُ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ  
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الْدِينُ الْحَالِصُ﴾، وقال عز  
 وجل: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْدِينَ  
 حُنَفَاءَ وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكُوَةَ وَذَلِكَ دِينُ  
 الْقِيمَةَ﴾.

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله  
 صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من فارق الدنيا على  
 الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى  
 الزكاة فارقها والله عنه راضٍ) رواه ابن ماجه والحاكم

وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم فقال: أرأيتَ رجلاً غزا يلتمسُ الآخرة والذّكرَ – أي الصيتَ الحسنَ – ما له؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآلـه وسلم: (لا شيء له)، ثم قال: (إن الله عز وجل لا يقبلُ من العملِ إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه) حديثٌ حسنٌ رواه أبو داود والنسائي.

ولقد قال سهلُ بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى: الناسُ موتى إلا العلماء، والعلماء سكارى إلا العاملين، والعاملون مغوروون إلا المخلصين، والمخلصون على وجلٍ حتى يُعلمَ ما يُختتمُ لهم.